بواسطة الطيور لبث اثمارها متصلة بالنبات بعد ما تنضج حتّى تقع عليها الطيور وتأكلها وتربي بزورها . والبزور الكبيرة قليلاً التي تفرّقها الرياح لها زغب او اجنحة واما الكبيرة كثيرًا التي لا يمكن للرياح ان تحملها لثقلها فليس لها اجنحة ولو كانت من نوع البزور الاولى كما في بزر الارز والصنوبر فان الاول صغير خفيف على الرياح فله اجنحة والثاني ثقيل على الرياح فليس له اجنحة ولو لم يخلُ من آثارها كأنهُ كان مجنّحًا لما كانت بزورهُ صغيرة . واعتبر ذلك في نبات الكشوث الذي ينبت على الاشجار ويمتصُّ غذاءهُ من عصارها فانهُ لا بدَّ لبزوره من ان يوضع ما بين اغصان الاشجار لكي ينمو فيها . وقد اعدَّت له الطبيعة مادَّة لزجة كالدبق فيلصق بمناقير الطيور التي تأكله وتطير الطيور بهِ وتمسح مناقيرها بين اغصان الاشجار تخلّصًا منهُ فيلصق في خير الاماكن المناسبة لنموهِ . واعتبر ذلك في الخشخاش (ابونوم) وتحوّط النباتات التي لا تخرج بزورها منها الاَّ اذا هزَّتها الرياح هزًّا عنيفًا وحينئذٍ تتفرّق في مساحة واسعة

وقد ينقطع النبات امامهُ من الرياح والحيوانات كالخروع فان بزورهُ ثقيلة لا تحملها الرياح وليس لها غلافٌ طيب الطعم اغراء للطيور والحيوانات ولا فيها مادة لزجة حتّى تلصق بمناقير الطيور ولا شوك حتّى تعلق بجلود الحيوانات وطعمها تنفر النفس منهُ فلم يبق لها الاَّ ان تتفرّق في عرض الارض بنفسها ولذلك يتشقق غلافها حينما تنضج ويدفعها دفعًا بعنف شديد كأنها رصاص البنادق . وكثير من النبات يجري هذا المجرى ولاسيما في المنطقة الحارّة حيث تدفع البزور بعنف حتّى لقد تقتل الحيوان اذا اصابتهُ . ومن امعن نظرهُ في ما تقدّم رأى ان النبات يسعى في طلب المعيشة كالحيوان مستخدمًا الوسائط التي تمكنهُ من ذلك جاريًا على سنن معلومة ما سنَّ الخالق سبحانهُ لجميع المخلوقات الحيّة

طرق التحيّة واسبابها

تابع ما في الجزء السابع

ذكرنا في الجزء الخامس بعض طرق التحيّة وما يعلَم من اصولها ويوافقنا ان نبسط الكلام على غيرها من الطرق وايجازًا لذلك نقول : ان اشهر طرق التحيّة الشائعة الآن في البلدان المتمدنة هي حني الرأس . وعند الفيلسوف هربرت سبنسر ان ذلك من علامات الخوف والتذلّل فانهما كانا يدعوان الانسان اولاً الى ان ينطرح على الارض رهبةً وتذلّلاً ثم صار يجثو على ركبتيهِ ثم صار يكتفي بالانحناء ولم يزل ذلك كلهُ مستعملاً بين طوائف الناس

المختلفة بحسب درجاتهم في الحضارة

وكثيرًا ما يركع الانسان على ركبتيهِ امام مَن يخشاهُ ويشيح بيديهِ او يرفع ذراعيهِ ويبسط راحتيهِ واصل ذلك التسليم وقت الحرب وطرح السلاح من اليدين وبسطها فارغتَين. والبعض يجثون حتّى يومنا هذا امام مَن يحبونهُ ويضعون رؤوسهم على موطىء قدميهِ فيرفع قدميهِ واحدةً بعد الاخرى ويضعها على رأسِ مَن يجثو امامهُ وهو لا يحسب ذلك ترفعًا ولا الجاثي يحسبهُ تذللاً. واهالي يابان يجثو بعضهم لبعض حتّى يماس وجه كلّ منهم الارض او لا يبقى بينهُ وبينها الاّ راحة اليد مبسوطة على الارض والانف والذقن لاصقان بها

والاسلوب العام في طرق التحيّة ان يبقى العظيم في حالة الراحة والوضيع في حالة التعب ولعلّ شعوب المشرق لم يفوقوا شعوب المغرب في ذلك فقد حدث في بلاد فرنسا انهُ لما مرض الكردينال رشليه الشهير وذهب الملك لويس الثالث عشر لعيادتهِ وضع لهُ سرير في حجرة المريض فدخلها مسرعًا واستلقى على السرير حالاً ليستريح اكثر من الكردينال لان شروط مقابلة الملوك عندهم لرعاياهم لا تسمح لاحد من الرعيّة ان يستريح اكثر من الملك وهو يقابلهُ. ولعلّ انحناء الناس بعضهم لبعض وقت التحيّة مشتق من الركع ولم يزل الركع شائعًا في يابان حتّى يومنا هذا والسراويل التي يلبسها الناس في بلاط ملك يابان مصنوعة على اسلوب يظهر فيها الرجل كأنهُ راكع وهو واقف وجلوسهم على الارض يكاد يكون ركوعًا

واهالي جاوا يجلس مرؤوسهم في حضرة رئيسهم واهالي جزائر مريانا لا يكلم وضيعهم رفيعهم الاّ جالسًا احترامًا للرفيع واما الرفيع فيعدّ الجلوس امام الوضيع حطةً بشأنهِ. والعادة الجارية عندنا وعند كثيرين غيرنا هي ان الوضيع اذا كان راكبًا وقابل رجلاً اعلى منهُ مقامًا ترجّل عن مطيتهِ وذلك لمجرّد الاحترام كأنّ المكان المرتفع اكرم من المنخفض. وفي اللغة ادلّة كثيرة على ذلك كما لا يخفى فان كلمة اعلى واوطإ واعلى منزلة وارفع مقامًا والعالي والرفيع والواطىء والوضيع كلمات مألوفة نستعملها كل يوم وهي تدلّ دلالة واضحة على اعتبار الناس للمنازل العالية وتفضيلهم اياها على الواطئة حتّى جرّدوا منها كلمات لهذه المعاني. ومن ثمّ كان رفع اليد في التحيّة عند البعض بمثابة النطق بكلمات التجلّة والاكرام. ويقال انهُ اتى مرّةً بمركبة اوربيّة الى احد ملوك الهند فلم يستطع ان يركب فيها لان مقعد السائق ارفع من مقعدهِ. ولهذا السبب عينهِ لم يكن ملوك جاوا يركبون في المركبات الاوربيّة. واهالي برما وسيام ونحوها من ممالك المشرق لا يسكن الواحد منهم في منزل وفي الطبقة العليا واحد اوطأ منهُ مقامًا او في

السفلى واحد ارفع منهُ مقامًا . ولعلّ اعتبار المنازل الرفيعة حدث اولاً من ان رئيس القوم كان يقيم في مكان رفيع ليمكنهُ ان يرى جميع قومهِ او ليسمعوا صوتهُ اذا كلّمهم فحفظت المقامات الرفيعة للرؤساء والزعماء والوجهاء

واذا اعتبر ما تقدّم عُلم السبب في دلالة انحناء الرأس على الرضى والقبول والتسليم والخضوع ورفعهُ على الرفض والنفي والنفور وكذا اغماض الجفنين وفتحهما ورفع الحواجب

والاماكن الواطئة تدلُّ على الخضوع والتذلل كما ان الاماكن العالية تدل على السيادة والترفع ترى ذلك واضحًا حينما يجيء وضيعٌ رفيعًا كيف انهُ ينحني لهُ حتّى يكاد يصل الى الارض . وبعض الناس يمس الارض حقيقة وقت التحيّة ويقال انهُ انما جعل وضع على رفيع في بلاد جرمانيا واراد ان يقرع الباب قبل دخولهِ انحنى وقرعهُ عند العتبة اشارة الى خضوعهِ وتذللهِ

ومن العلامات الشائعة عند اهل المغرب كشف الرأس وقت التحيّة . وعند الفيلسوف هربرت سبنسر ان كشف الرأس يشير الى تعرية البدن كلهِ وهي علامة على التذلل والخضوع فان الطغاة الاولين كانوا يعرون من يتغلبون عليهِ لكي يصغر جسمهُ ويبين حقيرًا لان اللباس يكبر الجسم . وعلاقة كبر الجسم بالعظمة كانت شائعة عند جميع الشعوب كما يستدل من لغاتهم في كلمة كبير وعظيم وفخيم . وفي الآثار المصرية اكبر شاهد على ذلك فترى انهم كانوا يصورون الملك اكبر جسمًا من رعيتهِ والسيد من عبيدهِ والزوج من زوجتهِ والاب من اولادهِ فترى صورة ابنة رعمسيس منقوشة على رجل ابيها وصورة امرأة الكاهن التي وعبيدهِ وخدامهِ منقوشة بجانبهِ كانها دمى صغيرة فاذا كان ارتفاع صورة مترٍ كان ارتفاع صورة زوجتهِ ثلث متر او نحو ذلك وكذا صور كل واحد من عبيدهِ وخدامهِ وذلك يدلُّ دلالة واضحة على ان عظمة الجسم كانت عندهم دليلاً على العظمة المعنوية

ولكن يعترض على ما قالهُ سبنسر بان اكثر شعوب المشرق لا تكشف رؤوسها عند التحيّة ولا تعد كشف الرأس من علامات الخضوع والتذلل بل توجب خلع الحذاء والمراد بخلعهِ واضح وهو اعتبار الارض التي تداس طاهرة لا يحسن وضع الحذاء الوسخ عليها . ولعلة الاصل في كشف رأس الاوربيين عند التحيّة او عند دخول البيوت ان فريقًا منهم كانوا يخلعون خوذهم عند مقابلة الاصدقاء او عند دخول بيوتهم اشارة الى انهم آمنون على انفسهم وغير موجسين خيفةً وانتقلوا من ذلك الى خلع البرانيط . وخلع الخوذ في الزمان القديم بمثابة خفض السيوف الآن وقت تسليم الجنود وتقديم البنادق واطلاق النار فيها بدون

رصاص ورفع اليد مبسوطة الى الجبهة . وعليهِ فكشف الرأس من علامات التسليم لا من علامات التذلل ولذلك لم تجرِ عليهِ النساء لانهنَّ لم يكنَّ يلبسنَ الخوذ . والمشاركة واضحة في العربيَّة بين السلام والتسليم والاستلام .

التدابير الصحيّة

ذكرنا في الجزء الماضي في الكلام على العمر والتدابير الصحيَّة ان البلدان التي تراعي قوانين الصحة يبلغ متوسط عمر اهاليها اربعين سنة والتي لا تراعي هذه القوانين يبلغ متوسط عمر اهاليها اقل من عشرين سنة وان البلدان الاوربيَّة من النوع الاول وبلدان القطر المصري من النوع الثاني . وبيَّنا انهُ لو روعيت قوانين الصحة في القطر المصري كما هي مرعيَّة في مدائن اوربا لنجا كل سنة ٣٤٥ الفًا من اهاليهِ من الموت الباكر . وهذا من اهم المسائل التي تستدعي التفات الحكومة والاهلين

وقد بشرنا البرق منذ ايام ان اكثر دول اوربا صادقتْ على استخدام جانب من مال الدخوليَّة لانشاء مصارف القاهرة واتخاذ التدابير الصحيَّة فيها وذلك من جملة الوسائط لاجادة الصحة وتقليل عدد الوفيات . ومعلوم ان المجلس البلدي في الاسكندريَّة ساعٍ نحو هذه الغاية ايضًا على حداثة عهدهِ ولا بد من ان يزيد سعيًا عامًا بعد عام ويهتدي الى انجع الوسائط لنظافة المدينة وتقليل عدد وفياتها . وقد اهتمت بعض مدن الارياف بانشاء مجلس بلدي لهذه الغاية واذا نجحت اقتدى بها غيرها من المدن الكبيرة . ويجب ان تسبقها العاصمة الى ذلك لان المال الذي يراد تخصيصهُ من الدخوليَّة لا يكفي لكل ما تحتاج اليهِ من الاصلاح ولا يراد استقدامهُ لكل ما يستدعي الاصلاح على ما يظهر فلا بدَّ من انشاء مجلس بلدي فيها يهتم ايضًا بامر الشوارع والمساكن والمزارب والمذابح والمدابغ والمآكل والمشارب والامراض الوبائيَّة وما اشبه . وايضاحًا لذلك نذكر ما تم في مدينة واحدة من مدن المغرب بواسطة هذه التدابير الصحيَّة

خذ مثلاً لذلك مدينة نيويورك باميركا فقد كان متوسط الوفيات فيها بين سنة ١٨٥١ و ١٨٦١ نحو ٤٢ في الالف في السنة فهبط بين سنة ١٨٦٦ و١٨٩٠ هبوطًا متواليًا الى ان صار ٢٤ ونصفًا في الالف بسبب ما اتخذ فيها من التدابير الصحيَّة كما سيجيء . وهبوط عدد الوفيات الى هذا الحد في تلك المدينة بمثابة نجاة ٢٢٠٠٠ نفس من اهاليها كل سنة من